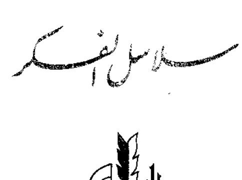
المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية





حكايات من التاريخ

جابر عثرات الكرام

علي الطنطاوي

الرسوم والاخراج الفني : أحمد المفتي

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار الفكر - دمشق - ساحة الحجاز
ص . ب (٩٦٢) - برقيا (فكر) هاتف (١١١٠٤١)

هذه (حكايات من التاريخ) ومن منا لا يحب الحكايات ، ومن لا يذكر أياماً من حياته ، كانِ يسعى فيها إلى جدته العجوز ، يلتصق بها أمام (المنقل) في ليالي (كانون) يسألها (حكاية . . .) ، فتتعلل هي ، ويتوسل هو ، حتى إذا استجابت وبدأت بالفاتحة التي لا بد منها لكل حكاية ، (كان يا ما كان ، كان من قديم الزمان . . .) تَجَمَّع وتَحفَّز ، وصارت كل جارحة من جسده أذناً تصغي وقلباً يعي ، يغالبه النعاس وهو صابر ، يترقب نهاية علاء الدين ، وفطمة الدينارية ، والأخوات الثلاث ، والشاطر حسن . . .

ويكبر الطفل ، ولكن الحنين إلى الحكايات والقصص يكبر معه ، فهو يتتبع الأخبار ، ويقرأ القصص ، وينظر في صحف التاريخ ، كل ذلك لأن حب الحكايات وذكرى الجدة و (المنقل) ، لا تزال حية في نفسه ، مهما بلغ من العمر .

ولا أدري لِمَ لم ينتفع المعلمون والمربون بهذا الميل المستقر في كل نفس ، فيجعلوا دروسهم ومواعظهم حكايات وقصصاً . ولِم يدعون الميدان كله لهؤلاء المفسدين ، الذين يستغلون وحدهم هذا الميل ، فينشرون في الناس القصص المفسدة للخلق من قصص (ارسين لوبين) وأشباهها ، أو المفسدة للعقل كقصص السحرة والعفاريت .

لذلك استجبت مسروراً لما كلفتني (دار الفكر) بأن أتولى كتابة هذه السلسلة من الحكايات .

إنها حكايات ولكنها تاريخية واقعة . وليس معنى هذا أني أفتح كتاب التاريخ وأنقل ما فيه . ولكن معناه أني آخذ الخبر التاريخي ، أو الواقعة المروية ، فأخرجها إخراجاً فنياً . وربما زدت فيها قليلاً أو كثيراً . وربما كان أصلها سطوراً معدودة فجعلتها صفحات ، ولكني لا أخرج في جوهر القصة عن الأصل على كل حال .

وإذا كانت الجدة تجد الحرج والضيق ، كلما سألها الصبي حكاية جديدة ، فذلك لأن حكاياتها قليلة لا تعرف غيرها . أما أنا فلن أتحرج ولن أضيق لأن لدي فيضاً لا ينقطع من هذه الحكايات .

وسأعرضها بأسهل لفظ ، وأقرب عبارة ، حتى يفهمها تلميذ الصف الرابع ابتدائي . ومن الله أبتغي العون ، وأرجو الثواب .

علي الطنطاوي

الكريم المفلس

كانَ في مَدِينَةِ (الرَّقَّةِ) أيامَ سُلَيمانَ بن عبدِ الملكِ (أيْ مُنْذُ أكْثَرَ مِنْ ألفٍ ومئتي سنةٍ) رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، اسْمُهُ خُزَيْمَةُ بنُ بِشْرٍ ، وكانَ غَنِيًّا ، ذَا نِعْمَةٍ حَسَنَةٍ ، وَمَالٍ كَثِيرٍ ، وَلكنَّهُ كانَ ذَا مُرُوءَةٍ وَكَرَمٍ ، وَفَضْلٍ عَلى النَّاس ، وَبِرٍّ بالإخْوَانِ ، لا يَرُدُّ سَائِلا ولا يَحْرِمُ طَالِباً ، وَلا يَقْعُدُ عن مَكْرُمَةٍ ، ولم يَزَلْ عَلى ذلكَ ، حَتّى استَنفَدَ المعْروفُ مالَهُ كلَّهُ ، فَلَم يَبقَ معهُ شيءٌ ، فَاسْتَعَانَ بإخوانِهِ ، فأعَانُوهُ حِيناً ، ثُمَّ مَلُّوهُ فَعَرَاهُ القُنُوطُ ، وتملَّكَهُ اليأسُ .

ـ فقالَ لِزَوْجَتِهِ « الْحقي بِأهْلِكِ ، فَإنّي سَأُغْلِقُ

عَلَيَّ بَابِيَ ، وأبقَى في بَيْتِي ، حَتَّى يأتيَ الفرجُ أوْ أموتَ » .

ـ قالتْ : مَا كنتُ لِأُصاحِبَكَ في اللِّين ، وأُفارِقَكَ في الشِّدَّةِ ، وأنا بَاقيةٌ معَكَ ، إنْ عِشْتَ عِشْتُ ، وإن مُتَّ مُتُّ .

وأغلقَا البابَ ، وَرَاحَا يَتَقَوَّتَانِ بما عِنْدَهُما حتّى نَفِدَ ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمَا شيءٌ وَقَعَدَا يَنْتَظِرانِ الموتَ .

وكان عِكْرِمَةُ الفَيَّاضُ الرَبَعِيّ أميراً عَلَى الجَزيرَة ، وكانَ قَدْ لُقِّبَ بالفَيّاضِ لِكَرَمِهِ وفَيْضِهِ ، فقالَ يوماً لجُلسائِهِ :

ـ ما فَعَلَ خُزَيمَةُ بنُ بِشرٍ الأَسديُّ ؟ .

ـ قالوا : ما يراهُ مِنَّا أحدٌ ، وَلَعَلَّهُ عَلَى سَفرٍ .

ـ قالَ واحدٌ مِمَّنْ حَضَرَ : بَلْ هُوَ في البلدِ ، ولكنَّه قَدِ انْتَهى ، وَقَدْ دَفَنَ نَفْسَهُ في داره ، وأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، وحَلَفَ لا يخرجُ حتَّى يموتَ .

ـ قالَ : وَلِمَ ، وَيْحكَ ؟ . فَخَبَّرَهُ خَبَرَهُ .

ـ قَالَ : أَوَلَمْ يَجِدْ مُسعِداً أَو مُواسياً ؟ هل قَلَّ الأَغنياء ؟ .

ـ قال : لا أيُّها الأميرُ ، ولَكنْ قلَّ الكُرَمَاءُ ، إنَّ النّاسَ يتسابقونَ إلى بِرِّكَ إذا ضِقْتَ يوماً ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أنَّ لكَ مَالاً آتياً ، وأنَّهم إذا سَعَفُوك رَدَدْتَ عليهم مَالَهم ، وَحَفِظْتَ لَهُمْ مَعْرُوفَهُمْ ، فَإنْ رأوا أنَّكَ قَدْ أَحَجْتَ حقيقةً ، ولم يَبْقَ لَكَ مالٌ يُنْتَظَرُ لَمْ يَلْتَفِتْ إليكَ مِنْهمُ أَحَدٌ ؛ والصَّداقَةُ عندَ أكثر النّاس تِجَارَةٌ ، فَهُمْ يُوَادُّونَكَ أَمَلًا بمالكَ أَنْ يستفيدُوا منهُ يَوماً ، أو بجاهِكَ أَنْ يستعينوا بِهِ . أمَّا الحُبُّ في اللهِ ، فذلكَ مَالا تكادُ تجدهُ في النّاس .

ـ قال الأميرُ : صَدَقْتَ .

وأمْسَكَ عَنْ ذِكْرِه ، وَخَاضَ في غير حديثِهِ ، وعَجِبَ الحاضرونَ ، وكانوا يَظُنُّونَ أنَّهُ يأمرُ له بِعَطِيَّةٍ ، أو يبعثُ إليهِ بوفدٍ .



وكانَ قَدْ مَرَّ على خُزَيْمَةَ وامْرَأتِهِ ثلاثةُ أيامٍ لَمْ يَذُوقا فيها شيئاً . وكان مَنْظَرُ زَوْجَتِهِ وَهْيَ جَائِعَةٌ مُوجَعَةٌ . أَشَدَّ عليهِ مِنْ جوعهِ وَوَجَعِهِ . وكانَ يَدْفَعُهُ حُبُّهُ إيّاهَا . وَشفقتُه عليها إلى الخُروج . واللُّجُوء إلى واحدٍ مِمَّنْ كانَ طَوَّقَ بجَميلِهِ أعناقَهم أو يطالبَ مَنْ لَهُ دينٌ عليهم . وَلَمْ يُؤَدُّوا لَهُ شيئاً مِنْ ديونِهِ عليهم . ثم تمنعُهُ عِزَّةُ نَفْسِهِ وكَرَامَتُها عَلَيهِ . أَنْ يمدَّ يدَهُ بالسّؤال ؛ إلى مَنْ كانَ يمدُّ يدَهُ إليهم بالمالِ . وَأَنْ يطلُبَ مِمّنْ كانُوا هُمْ يَطْلُبونَ مِنْهُ . ويُؤثِرُ أنْ يموتَ وهو كريمٌ عَنْ أَنْ يعيشَ عِيشةَ المَذَلَّةِ والهَوَانِ .



فَمَا مَضَى هَزِيعٌ من اللّيلِ ؛ حتَّى أحَسَّ قَرْعَ البابِ . فَقَالَ لِامرَأتِه : انْظُري مَنْ بالبابِ ؟

قَالتْ : فارسٌ مُلَثَّمٌ ما يَبِينُ مِنهُ إلَّا عَيْنَاهُ .

فَنَزَلَ فَفَتَحَ لَهُ . فَلمّا رآهُ الفارسُ لم يَنْزِلْ عَنْ دابَّتِهِ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ . وإنَّما دَفَعَ إليه كِيْساً ثَقِيلاً يَبْدُو أنَّهُ مُمْتَلِىءٌ بالمالِ فأخذَ بلجامِ دابَّتِه وقالَ :

ـ مَنْ أنْتَ ؟ وَمَا هَذا ؟

ـ قَالَ : هذا شيءٌ ساقَهُ اللهُ إليكَ . ليسَ عَلَيْكَ مِنَّةٌ فيهِ لِأحَدٍ . وَمَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْتي في هَذِهِ السَّاعَةِ وَحَمَلْتُهُ إليكَ بنفسي إلّا لأنّي لا أُحِبُّ أنْ تَعْرِفَني .

ـ قالَ : لا وَاللهِ . لا آخذُهُ حتَّى تقولَ لي مَنْ أنْتَ .

ـ قالَ : أنا جابِرُ عَثَرَاتِ الكِرَامِ .

ـ قال : زِدْني إيضاحاً .

ـ قال : لا

ونَترَ اللّجامَ مِنْ يَدِهِ . ولَكَزَ الفرس

حتى لفَّهُ الليلُ .



الفَرَجُ بعدَ الشِّدَّة

وَدَخَلَ خُزَيْمَةُ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : قَدْ جاءَكِ الفَرَجُ ، فأوقدي السِّراجَ ، وَتعالي فَانْظُري :

ـ قالتْ : إنَّكَ لَتَعْلَمُ أنَّهُ لم يبقَ في الدار نُقْطَةُ زيتٍ أوقدُ بِها سِرَاجاً .

فَرَاحَا يَتَحسَّسَان مافي الكِيْسِ ، فَيَجِدَانِ المَالَ ، وراحتْ تقولُ لَهُ :

ـ إنَّها لو كانَتْ فُلوساً لَكَانَتْ كَثِيرةً .

وطارَ النَّومُ من عُيُونِهما ، فَبَقِيَا سَاهِرَيْنِ حَتَّى طَلَعَ النَّهارُ ، فَنَظَرَا فَبَهَرَ الذَّهَبُ عُيُونَهما ، وإذا هِيَ أَرْبَعَةُ



آلافِ دِينَارٍ. وبَقِيَا حَائِرَيْنِ يَتَسَاءلانِ : مَنْ يَكُونُ هذا الرَّجُلُ ؟

وكانَ الرَّجُلُ هو عِكْرمَةُ الفَيَّاضُ أمِيرُ الجَزيرَة . لمّا سَمِعَ خَبَرَ خُزَيْمَة أخذَ أرْبَعَةَ آلافِ دِينَارٍ ، فَوَضَعَهَا في كِيْسٍ ، وَخَرَجَ وَحْدَهُ ، لِئَلَّا يُحِسَّ بِهِ أَحَدٌ . فَدَفَعَها إليهِ ، وَعَادَ فرحاً ، يُحِسُّ كأنَّهُ أعْطِيَ أربعينَ ألفاً ، بَلْ هُوَ لَوْ أُعْطِيَ الأربعينَ ، لَمَا فَرِحَ بها فَرَحَهُ بِهَذِهِ الأَرْبَعَةِ الّتي أعْطَاهَا .

وَفي الدُنْيَا لَذَّاتٌ كَثيرةٌ ، وَلكِنَّ مِنْ أمتِعِها مُتْعةً ، وأَعْمَقِها في النَّفْس أثَراً ، لذّة الإحْسَانِ ، وَلَوْ لَمْ يكنْ لِلمُحْسِنِ إلاّ هَذِهِ اللّذةُ مُكَافَأَةً لَكفتْهُ ، عِوَضاً مِنَ المالِ الّذي بَذَلَ ، فَكَيفَ وَلَهُ عِنْدَ اللهِ أضعافُ أَضْعَافِها .

(مَثلُ الذَّينَ يُنفِقونَ أموالَهُم في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ واللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) .

فما لِلْمُسْلِمِ يَبْتَغِي تِجارةً تَرْبَحُ فيها مِئَتُهُ خَمْساً أَوْ عَشْراً وَيَتْرُكُ هَذِهِ التِّجارَةَ الّتي تَصِيرُ فيها المِئَةُ سبعينَ ألفاً ؟ وَرُبَّما ضُوعفَتْ فكانَتْ مِئةً وَأَرْبَعِينَ ألفاً فَمَا فَوْقَها ؟ .

زوجة عصرية

وَدَخَلَ بيتَه مُتَلصّصَاً يَحْمَدُ اللهَ على أَنْ لم يَرَهُ أحدٌ ، لم يَدْرِ أنَّها قَدْ رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وَكَانَتِ ابْنَةَ عَمِّهِ ، وكانتْ عَاقِلةً وَفِيّةً ، وَلَكِنَّ بها داءَ أَكْثَرِ النِّساءِ : الغَيْرَةَ الحمْقَاءَ ، والشُّكُوكَ والوَسَاوسَ . فما كادَ يَدْخُلُ مِنَ البَابِ ، حتَّى وَثَبَتْ لهُ مِنَ الظَّلامِ ، كأنَّمَا هِيَ الشُّرطيُّ المُتَرَقِّبُ يَضْبِطُ اللصَّ .

ـ وقالتْ : أيْنَ كُنْتَ ؟

ـ قال : كنتُ في حاجَةٍ لي .

ـ قَالتْ : أميرُ البلدِ يخرُجُ وحدَهُ في هَدْأةٍ مِنَ اللَّيلِ

وهو مُتَنَكِّرٌ ؟ لا واللهِ ما خَرَجْتَ لحاجةٍ ، وَلَكِنْ لَكَ زَوْجَةٌ غَيْري ، فَأَنْتَ تَخْرُجُ إليها . وَبَكَتْ وَشَقَّتْ ثوبَها ، وَشَدَّتْ شَعْرَها ، وأَعْوَلَت وَصَاحَتْ : غَدَرْتَ يا عكرمةُ بابْنَةِ عَمِّكَ وتزوَّجْتَ عليها .



ـ قالَ : ما لكِ يَا امْرَأةُ ؟ هَلْ جُننْتِ ؟ إنّكِ لَتعلمينَ بأنّي لَسْتُ بصَاحِبِ نِسَاءٍ ، ولَيْسَ لي زوجةٌ غيرُك ، وَمَا خرجتُ إلاَّ لأمرٍ لا أُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ أحدٌ إلاّ اللّهُ .

ـ قالتْ : واللهِ لا أرْضَى حتَّى تُخْبِرَني مَا هُوَ .

ـ قالَ : لا أخبرُكِ .

ـ فعادتْ تُوَلْولُ ، وقالتْ : إذَنْ أذْهبَ واللَّهِ إلى بَيْتِ أبي .

ـ قالَ : إنَّا للهِ وإنّا إليهِ رَاجِعُونَ ، أمَّا إذ أصْرَرْتِ فَإني مُخْبِرُكِ ، وَلَكنّي مُسْتَحْلِفُكِ باللهِ وملائكتِهِ أنْ تكتُميهِ عليّ ولا تُخبري بِهِ أحَداً أبَداً .

ـ قالتْ : أحلِفُ لَكَ .

ـ قالَ : أرأيتِ إذ نَمْشي في الصَّحراء في حَرِّ الهَوَاجِر ، والشَّمْسُ مُتَوَقِّدةٌ تَلْذَعُ الرُّؤُوسَ ، كيفَ نَتَمَنَّى ظِلًا ، وَلَوْ كانَ ظلَّ قَنَاةٍ ، وَكَيْفَ كُنَّا نَشتَريهِ لَوْ بِيْعَ بِغَالي الثَّمَنِ .



لقد ذكرتُ يا ابْنَةَ العَمِّ مَوْقِفاً ، لَوْ قِيْسَ بِهِ موقِفُنَا في الصَّحْرَاءِ ، لَكَانَتْ شَمْسُ الصَّحْرَاءِ مِنْ بردها نورَ القَمرِ . ذَكَرْتُ مَوْقَفَ الحَشْرِ ، وَقَدْ دَنَتِ الشَّمْسُ حتَّى صَارَتْ فوقَ الرؤوس ، وَطَالَ اليَوْمُ حتَّى بَلَغَ مِقْدَارُهُ ألفَ سنةٍ ، وغرقَ النَّاسُ في العَرَقِ ، هُنَالِكَ يا بنةَ العَمِّ ، يُنادِي المُنادِي عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ ، وعَلَى مَسْمَعٍ مِنَ البَشَرِ جميعاً ، مَنْ كانَ في أوَّلِ الزَّمَانِ ومَنْ كانَ في آخِرِهِ ، قَدْ جَمَعَهُمُ اللَّهُ كلَّهُمْ ، يُنادي أَصْنَافاً سَبْعَةً مِنَ النَّاسِ ، فَيَدْعُوهُم إلى أعْظَمِ تَكْرِمَةٍ ، وَأَكْبَرِ نَعِيمٍ ، إلى أَنْ يَستَظِلُّوا بِظِلِّ عَرْشِ الرَّحمَنِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ ، مِنْهُمْ مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأخفاها حتَّى لا تَعْلَمُ شِمَالُهُ ما أنفَقَتْ يَمينُه ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أكُونَ مِنهُمْ فَخَرَجْتُ بأَرْبَعَةِ آلافٍ . . وقَصَّ عليها القِصَّةَ .

وسَألها : أصَدَّقْتِ أم تُحبّينَ أنْ أحْلِفَ لكِ ؟

ـ قَالَتْ : بَلْ صَدَّقْتُ ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبِي .

وَتَجَهَّزَ خُزَيْمَةُ بِهذا المالِ وَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ على أمير المؤمنينَ سُليمانَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ ، وَكانَ في الرَّمْلَةِ ، وَكانَ صديقاً لَهُ .



وَهَذِهِ هِيَ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ الَّتي يُطَبِّلُون لَهَا اليَوْمَ وَيُزَمِّرُون ، هِيَ فيهم دَعْوًى وَتَكَلُّفٌ ، وَهِيَ فِينَا سَلِيقَةٌ وَطَبْعٌ .

لِذَلِكَ رَحَّبَ بِهِ سُلَيمانُ تَرْحِيبَ الصَّديقِ ، لم يَمْنَعْهُ أَنَّه كانَ الحاكِمَ المُطْلَقَ فيما بينَ حدودِ فَرَنْسَا وَحُدُودِ الصِّينِ مِنْ أَنْ يُجَالِسَهُ ويحدِّثَهُ وَيَسْأَلَهُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَانْطَلقَ يَقُصُّ عليه قِصَّتَه حتَّى إذا بَلَغَ حَديث جابر عَثَرَاتِ الكِرامِ . سَأَلَهُ الخَليفَةُ عَنْهُ .

ـ فقالَ : ما عَرَفْتُهُ يا أميرَ المؤمنينَ . فَتَلَهَّفَ سُلَيْمانُ على مَعْرِفَتِهِ .

ـ وقالَ لَهُ : انْظُرْ مَنْ يَكُونُ لِنُكَافِئَهُ على نُبْلِهِ وكَرَمِهِ .

وَلَمَّا انْتَهَتِ الزِّيارةُ ، سَلَّمهُ الخَلِيفةُ مَرْسُومَ الولاَ يةِ عَلَى الجَزيرَة وعَقَدَ لَهُ اللِّواءَ عَلَيها .

خزيمة أمير الجزيرة

ذَهبَ مُفْلِساً وَعَادَ أميراً ، وَبَلَغَ النَّاسَ الخَبَرُ . فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنَ الرَّقَةِ خَرَجُوا يَسْتَقْبِلُونَهُ وَخَرَجَ مَعَهُم عِكْرمَةُ .



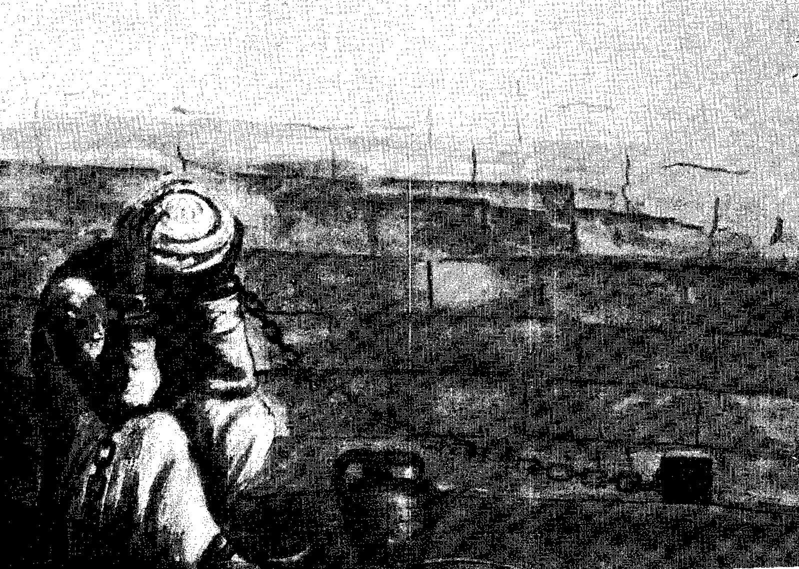
وَالنَّاسُ مَعَ الدَّهر إنْ أَقْبَلَ عَلَى امْرِىءٍ أَقبَلوا عَلَيْهِ وإنْ أَدْبَر عَنْهُ أدبرُوا عَنْهُ ، لم يَسْتَحْيُوا أنْ يَخرُجُوا

لِاسْتِقْبَالِ الرَّجُلِ الّذي تَرَكُوهُ بالأَمسِ يُغْلِقُ بَابَهُ لِيَمُوتَ جُوعاً . وَمَا بَالُوا بِهِ وَلَا فَكَّرُوا فِيهِ . مَعَ أَنَّ أَيادِيَهُ عِنْدَهُمْ وَمِنَنَهُ مُطَوِّقَةٌ أَعْنَاقَهُمْ . وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ إِعْرَاضاً عَنْهُ فِي مِحْنَتِهِ . أَشَدَّهُمْ تَزَلُّفاً له فِي نِعْمَتِهِ . وَهَذا دَأْبُ العَامَّةِ فِي كلِّ عَصْرٍ وكلِّ مِصْرٍ . أَنَّ أَسْرَعَهم هُتَافاً لِلْمَلِكِ عِنْدَ تَتْوِيجِهِ . أَسْرَعُهُمْ لَعْناً لَهُ عِنْدَ خَلْعِهِ .

عِكرمة الفيّاض في السجن

وكانتِ العَادَةُ في تِلكَ الأَيام أنْ يكونَ الأميرُ مُطْلَقَ اليدِ في سُلْطانِهِ . فإذا عُزِلَ كُلِّفَ خَلَفهُ مُحَاسَبَتَهُ واسْتِخْلاصَ الأَمْوَالِ مِنْهُ .

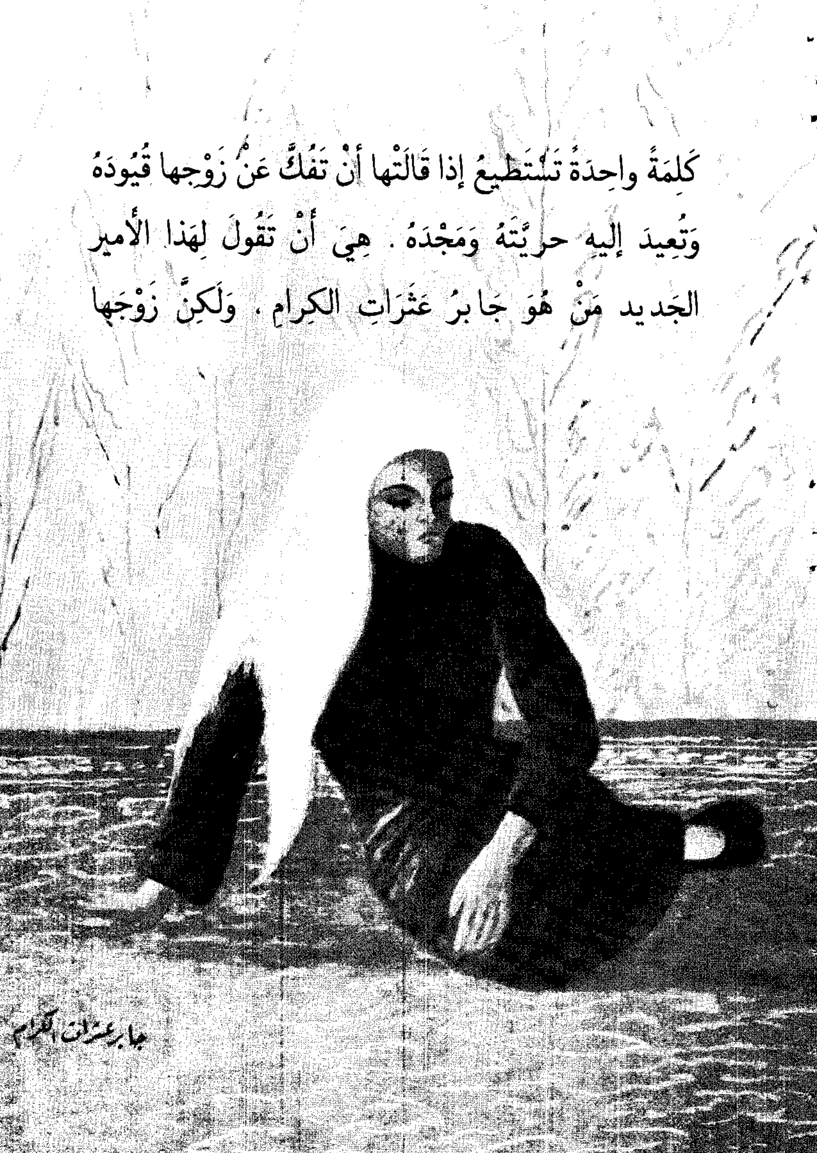
وَقَدْ دَعَا خُزَيْمَةُ الأَميرَ السَّابقَ عِكْرِمَةَ الفَيَّاضَ لِلْحِسَابِ . فَفَضَلَتْ عَليه فُضولُ أمْوَالٍ فَطَالَبَهُ بها ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ دَفْعَها فَأَمَرَ بِهِ إلى السِّجْنِ وضَيَّقَ عَلَيْهِ وأَثْقَلَهُ بالقُيُود .



وَصَبَرَ عَلَى ضِيقِ السِّجنِ وثِقلِ الحَدِيدِ ، وَلَكِنَّ ابْنَةَ عَمِّهِ لَمْ تَصْبِرْ . وَإذا سُجِنَ الكَريمُ لَمْ يَكُنْ هُوَ المُعَاقَبَ بالسِّجْنِ وَلَكِنَّ المُعَاقَبَ المُعَذَّبَ زَوْجَتُهُ وأَوْلَادُهُ . هُوَ يَتَوارَى وَرَاءَالبَابِ . فَلَا يَرى وَلَا يُرَى ، وَهْيَ تَحْمِلُ شَمَاتَةَ الشَّامِتِينَ . وتَحْمِلُ مِنْ مُوَاسَاةِ بَعْضِ المُوَاسِينَ مَا هُوَ أَثْقَلُ عَلَى النَّفسِ مِنْ شماتَةِ الشَّامتينَ .

وكان أشدَّ ما يمرُّ عَلَى زَوْجَةِ عِكْرمَةَ قَوْلُ النَّاسِ لَهَا إنَّ الأَميرَ الجَدِيدَ رَجُلٌ كَريمٌ . أَفَما لَكِ إليهِ وَسيلَةٌ ؟ أَلَا تَعْرفينَ صَدِيقاً لَهُ يكلِّمُهُ ليُخَفِّفَ عَنْ عِكْرمَةَ ؟

وَكانَتْ تَعْرفُ الوَسِيْلَةَ الّتي تَبُذُّ الوَسَائِلَ ، إنَّ لديها



كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تَسْتَطيعُ إذا قَالَتْها أنْ تفُكَّ عَنْ زَوْجِها قُيُودَهُ وَتُعيدَ إليهِ حرِيَّتَهُ وَمَجْدَهُ . هِيَ أنْ تَقُولَ لِهَذا الأمير الجَديد مَنْ هُوَ جابرُ عَثَراتِ الكِرامِ ، وَلَكِنَّ زَوْجَها

يَأبى عَلَيها أَنْ تَقولَها أشَدَّ الإباء . وَيُؤْثِرُ المَوْتَ في السِّجنِ عَنْ أن يُظْهِرَ حَسَنَةً عَاهَدَ اللهَ على كِتْمَانِها . لِتَكُونَ خالصةً لَهُ وَحْدَهُ . وَهْيَ قَدْ حَلَفَتِ اليَمِينَ ولا تُحِبُّ أنْ تَحْنَثَ بِها وَلَوْ عَلَى قَطْعِ رَقَبَتِها .

وَمَرَّ شهرٌ كَامِلٌ وَهْيَ في أَشَدِّ العَذَابِ . وَلَمْ يَكُنِ السِّجنُ كَسُجُونِ هَذِهِ الأَيَّامِ . بَلْ حُفْرَةً كَالقَبْرِ . فيها رُطُوبَةُ القَبْرِ . وَظَلامُهُ . وفيها القُيُودُ الثِّقالُ .

وَذَابَتِ المِسْكِينَةُ كَمَا تَذُوبُ الشَّمعَةُ . وَرَقَّ لَحْمُها وَبَدَا عَظْمُها . وَثَقُلَ هَذَا السِّرُّ عَلَى قَلْبِها حتَّى كأَنَّه قِطْعَةٌ مِنَ الرَّصاص وكأَنَّ قلبَها كِيْسٌ مِنَ الحَرير . يَتَمَزَّقُ مِنْ ثِقَلِها . كَذلكَ شَعَرَتْ بِهِ يُمَزِّقُ قَلْبَها . وَكَانَتْ بينَ حُبِّها لِزَوْجِها وألَمِها لَهُ . وَبَيْنَ حِرْصِها عَلَى رِضَاهُ وَبِرِّها بِيَمِينِها كأَنَّما هِيَ بينَ حَجَرَي طَاحُون .

جَابِرُ عَثَرَاتِ الكِرَامِ

ثُمَّ اهْتَدَتْ لِوَجْهِ الحِيلَةِ . فَدَعَتْ مَوْلاةً لَهَا عَاقِلَةً قَوِيَّةً جَمِيلَةً . فَبَعَثَتْ بِها إلى الأميرِ الجَديدِ وَلَقَّنَتْها ما تَقُولهُ .

فَدَخَلَتِ الجَارِيةُ القَصْرَ . وَطَلَبَتْ لِقَاءَ الأميرِ .

ـ وَقَالَتْ : إنَّ لي نَصِيحَةً لا أَقُولُها إلاّ لَهُ . فأدخَلُوها عَلَيْهِ .

ـ فَقَالَ : مَنْ أَنْتِ وَمَا شَأْنُكِ ؟

ـ قالتْ : لَسْتُ أقولُ إلاَّ عَلَى انْفِرَادٍ .

فَانْفَردَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : هَلْ تُحِبُّ أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى جَابِر عَثَراتِ الكِرامِ ؟ .

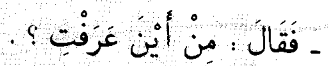
ـ فَوَثَبَ وَقَالَ : وَيْحَكِ وَهَلْ تَعْرِفينَهُ ؟ .

ـ قَالَتْ : إِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَحْتَاجُ إِليكَ ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِهِ ؟

ـ قَالَ : أَتَسْأَلينَني مَا أَنا صَانِعٌ بِهِ ؟ خَبِّريني وَسَتَرَينَ ؛ خَبّريني وَيْلَكِ وَعَجِّلي فَمَا بَقِيَ مِنْ صَبري بَقِيَّةٌ ، فَمَنْ هُوَ ؟

ـ قَالَتْ هُوَ عِكْرِمَةُ الفَيَّاضُ . فَشَدِهَ وَصَاحَ بِهَا وَيْلَكِ أَوَاثِقَةٌ أَنْتِ أَنَّهُ عِكْرِمَةُ ؟

ـ قالتْ : إِي وَاللهِ



ـ فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتِ ؟ .

فَقَصَّتْ عليه القِصَّةَ . فَجَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ بِكَفَّيْهِ وَيَشُدُّ شَعْرَهُ ويقولُ :

ـ وَاخَجْلَتَاهُ . وَاخَجْلَتَاهُ مِنْهُ وَمِنَ ابْنَةِ عَمِّهِ .

وَقَفَزَ إلى فَرَسِهِ . وَقَالَ لِأَهْلِ مَجْلسِهِ وَهُمْ وُجُوهُ أَهلِ البَلَدِ : الْحَقُوا بِي إلى السِّجْنِ .

مُكَافَـــأةِ المَعروفِ

وَدَخَلَ على عِكْرِمَةَ فأكبَّ عَلَى رَأْسِهِ يُقَبِّلهُ، وَيَعْتَذِرُ إليهِ. وَعَرَفَ عِكْرِمَةُ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَفْشَتْ سِرَّهُ. فاسْتَحْيَا وَنَكَسَ. وأمَرَ بالقُيُودِ فَفُكَّتْ عَنْهُ. وَمَدَّ رِجْلَهُ وقالَ لِلْحَدَّادِ: ضَعْهَا هُنَا.

- قَالَ عِكْرِمَةُ: وَمَاذَا تَصْنَعُ قالَ: أَصْنَعُ بِنفسِي مِثْلَ الّذي صَنَعْتُ بِكَ. لِأُكَفِّرَ عَنْ ذَنْبِي إليكَ.

- قالَ: لَا واللهِ لَا تفْعَلُ.

وَخَرَجَ بِهِ يُقَدِّمُهُ ويُكَرِّمُهُ، حَتَّى إذا دَخَلَ عِكْرِمَةُ دَارَهُ وَأَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَهُ قَالَ: لاَ واللهِ. بَلْ إلى دَار

الإمارة ، وَأَمرَ بالحَمَّامِ فأُخليَ ، وَدَخَلَ مَعَهُ فَخَدَمَهُ بِنَفْسِهِ ثُمَّ ألبسَهُ ثِيابَهُ ، وَمَضَى بِهِ إلى أمير المُؤمنينَ .

العودة إلى الخليفة

وَلَمَّا سَمِعَ سُلَيمانُ أَنَّ خُزَيْمَةَ قَدْ عَادَ .

ـ قَالَ : أَمِيرُ الجَزِيرَة يَعُودُ عَاجِلًا ، وَمِنْ غَيْر اسْتِئْذَانٍ وَلَا إِخْبَارٍ . ما عَادَ إلّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ وَدَعَا بِهِ ، فقالَ لهُ قبل أَنْ يُسَلِّمَ :

ـ مَا الَّذي أَقْدَمَكَ .

قال : يا أميرَ المُؤمنينَ ظَفِرْتُ بِجَابِر عَثَراتِ الكِرامِ فَجِئْتُكَ بِهِ لَمَّا رَأيتُ مِنْ تَلَهُّفِكَ وَشَوْقِكَ إلى رُؤيَتِهِ .

ـ قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

ـ قالَ : عِكْرِمَةُ الفَيَّاضُ .

فَدَعَا بِهِ الخَليفَةُ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ .

ـ وَقَالَ : يا عِكْرِمَةُ لَقَدْ كَانَ مَعْرُوفُكَ وَبالاً عَلَيْكَ خُذْ هَذِهِ الرُّقعةَ فاكْتُبْ عَليها طَلَبَاتِكَ كُلَّها .

ـ قَالَ : أو تُعْفِيْنِي يا أميرَ المُؤمنينَ ؟ فَمَالِي مِنْ طَلَبٍ إلاّ رضَا اللهِ ثُمَّ رضَاكَ .

ـ قَالَ : لا بُدَّ مِنْ أنْ تَفْعَلَ .

فَكَتَبَ حَاجَتَهُ فَأَمَرَ بِقَضَائِها . ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الجَزيرَةَ وأرْمِنْيَةَ وأذْربيجَانَ . وَوَلاّهُ عَليها كلَّها .

ـ وَقالَ لهُ : أمْرُ خُزَيمةَ لَكَ . فَإنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ وإنْ شِئْتَ أبْقَيتَهُ تَابِعاً لكَ .

ـ قال : بَلْ يَبْقَى يا أميرَ المُؤمنينَ .

وَبَقِيَا وَالِيَيْنِ حَتَّى ماتَ سُليمانُ .


دار الفكر
دمشق - ساحة الحجاز ص.ب ٩٦٢

سلاسل الفكر

إن من أهم ما تهدف إليه « كتب الأطفال » ، بصورة عامة ، تحبيب القراءة للأطفال ، وتنمية حب الاطلاع لديهم ، واستثارة مواهبهم الكامنة ؛

ويستعين العاملون في مجال « كتب الأطفال » ، عادة ، على تحقيق هذه الأهداف ، بتقديم المعلومات المتنوعة للطفل ، بأسلوب مشوق ، ولغة سهلة ، وطريقة جذابة ، وإخراج متقن ، واهتمام بالرسوم والصور ، على قدر يتفاوت حسب عمر الطفل الذي تقدم له هذه الكتب .

وسلاسل الفكر ، بالإضافة إلى هذه الأهداف العامة ، فإنها تتوخى :

بناء شخصية الطفل بشكل منسجم مع بيئته ومحيطه ، وتراث أمته الفكري ، ودورها الحضاري ، وذاتيتها المتميزة . . .

٢ ـ تعريف الطفل بالجهود العلمية الكبيرة ، التي قدمها علماؤنا الأجلاء ، في مختلف حقول المعرفة ، والتي حرص مؤرخو الحضارة الغربية على تجاهلها وطمسها وإهمالها .

٣ ـ توجيه الطفل إلى النظر في آيات الله المنثورة في

الكون المسخر له ، وفي نفسه التي بين جنبيه ، حتى يتبين له الحق ، ويستنير قلبه بالإيمان عن علم ويقين .

إن هذه الأهداف التي أخذت دار الفكر على عاتقها تحقيقها في (**سلاسل الفكر**) ، لتفرض عليها نهجاً في العمل جديداً متميزاً ؛

فيه من الإبداع ما ينأى به عن الترجمات الحرفية لكتب الأطفال الأجنبية ، التي غمرت مكتباتنا ، مع أنها لم تكتب في الأصل لأطفالنا ، وهي تحكي لهم أفكاراً ومعتقدات مغايرة لما يألفونه في بيئتهم ومعتقداتهم .

وفيه من التزام الأمانة العلمية ، والغاية التربوية ، والتنويع في المعلومات ، والمستوى الفني الرفيع ، ما يحتاج إلى تضافر الكثير من الجهود ، لإنتاج كتب لا تستحوذ على اهتمام أطفالنا فحسب ، وإنما تحقق فيهم الأهداف التي وضعت من أجلها .

وستصدر سلاسل الفكر تباعاً إن شاء الله ، في حلة قشيبة ، مزودة بالرسوم والألوان ، شاملة لشتى حقول المعرفة .